



الباب الأول
عالم الشهادة وعالم الغيب
(الملوك والملكات)



+

+

+

۲۸ +

يقول الله تعالى في كتابه الكريم في سورة الرعد: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١٦﴾﴾ ، ويقول في سورة الملك: ﴿تَبَرَّكَ
الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ ، ويقول جلَّ شأنه
في سورة يس: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾﴾

فمن الواضح أن هناك عالمين مختلفين: الأول هو عالم الشهادة،
والثاني هو عالم الغيب ..، والله جلَّ شأنه بيده الملك والملكوت وعالم
الغيب والشهادة.

فعالم الملك هو عالم الشهادة ..، وعالم الملكوت هو عالم الغيب ..،
وسوف نتعرض بإيجازٍ لكلٍّ منهما .

● عالم الملك أو عالم الشهادة

يُعرف عالم الشهادة بأنه جميع الموجودات في الكون التي يمكن
أن تدركها بحواسك المادية، وهي كما هو معلوم: السمع، والبصر،
واللمس، والذوق، والشم ..، فكل ما تراه ببصرك مجرداً أو مستعينا بآلة
مكبّرة كالميكروسكوب أو التلسكوب .. وكل ما تسمعه بأذنك مجردة أو
بجهاز كالراديو مثلاً يعتبر من الموجودات المادية التي هي جزء من
عالم الشهادة أو عالم الملك كما يطلق عليه أحياناً.

وقد اتسعت المعرفة بعالم الشهادة في عصرنا الحديث، وذلك بعد
اختراع الأجهزة والمعدات التي ساعدت هذه الحواس على إدراك ما
لم يكن من الممكن إدراكه بها مجردة من قبل ..، فالجراثيم تلك

الكائنات المتناهية فى الصغر لا ترى بالعين المجردة، ولكن يمكن رؤيتها باستخدام الأجهزة الحديثة المخصصة لهذا الغرض ...

والأكثر من هذا أن هُنَاكَ نُجُوما تراها الآن تلمع فى السماء ولكنها فى الحقيقة قد فنيت منذ زمن بعيد وهى غير موجودة حاليا، ولكن شعاعها الذى أرسلته إلينا منذ كانت موجودة ما زال يصل إلى الأرض قاطعا المسافة بين هذه النجوم والأرض فى مئات أو آلاف السنين ولم يصل إلى الأرض أو أعيننا إلا اليوم، بينما أصله ومصدره قد باد وبنى ..

وعلى العكس من ذلك فإن هناك نجوما قد ولدت وتكونت منذ زمن وهى الآن موجودة فعلا ولكنها لا ترى من على الأرض لأن أشعتها التى ترسلها ما زالت فى الطريق إلينا بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية .. ولم تصل بعد إلينا !!! ولكن العلماء بأجهزتهم الخاصة قد أثبتوا فناء الأولى ونحن نراها ووجود الثانية ونحن لا نراها.

ومقصود كلامنا أنه ليس من الضروري أن تدرك عينك كل الموجودات..، بل هناك موجودات تحتاج إلى أجهزة خاصة لرؤيتها .. وكذلك ليس كل ما تراه هو موجود فعلا وقت رؤيته .

ومرة أخرى يتكرر الأمر فى السمع . فالخفاش مثلا يرسل ذبذبات عالية التردد من موجات فوق صوتية وبها يستعين على الطيران حيث يرسل هذه الذبذبات ويستقبلها بعد اصطدامها وانعكاسها إليه بالحوائط والحواجز التى حوله فيعرف بعدها عنه فلا يصطدم بها.

والدلفين . هو حيوان بحرى ضخيم كالخوت - يستخدم لغة خاصة قوامها إرسال ذبذبات عالية التردد فى الماء والهواء وبها يتفاهم مع بنى جنسه .

وهاتان الظاهرتان لم تدركهما أسماع البشر العادية .. ولكن الأجهزة التى صممت لهذا الغرض تستقبلهما وتسجلهما أيضا ...

وسبحان الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ...

ويقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿١٨﴾

وهذه الأمم .. لا بد أنها عاقلة ومنظمة ويلزم لها بالضرورة لغة
مشتركة لكي تتفاهم بها وتدبر أمورها .. ألم تر كيف كلمت النملة قومها
تحذّرهم من قوم سيدنا سليمان بجيشه، وخوفها من أن
يقتلهم الجيش حيث قالت (النمل - ٨) : ﴿...يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾

كذلك أنت ترى النحل فى حركة دائبة وكل من فى الخلية
يؤدى دوره فى دقة متناهية امثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ
النَّحْلِ أَنْ اخْتِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾
ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۗ تَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾

وأنت لا تسمع النمل يتكلم ولا تعرف كيف ينظم النحل خلاياه
وأعماله وواجباته .. وكذلك أنت لا تفهم لغة الطير ...
ولكن نبي الله سليمان عليه السلام قد علمه الله تعالى هذه اللغات
فسمع النملة وفهم كلامها وقال (النمل - ١٩) : ﴿...رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ

أَشْكُرُ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ... ﴿

ويقول القرآن الكريم على لسان سيدنا سليمان (النمل - ١٦):

﴿ ... وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ... ﴾ .. وقد كلمه الهدهد وأنبأه بخبر ملكة سبأ كما روت قصتها سورة النمل في القرآن الكريم ... ويقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه فى شرح الآية الكريمة التى تشير إلى أمم الحيوان والطيور .. " وإن فىهم لابن عباس مثلى " .. يقصد أن فىهم علماء أيضا وأن أفراد كل أمة منهم يتفاوتون فى الجهل والعلم .

ومن المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه قد كلم الجمل، وكلمه الذئب وكلمه الضب . وحن إليه جذع النخلة الذى يستند إليه فى مسجده الشريف فى خطبة يوم الجمعة، وسمع له أنين ونحيب كما ذكر فى الصحيحين (البخارى ومسلم) وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية باب دلائل النبوة، وكل هذا كان بخاصية خاصة وإكرام مخصوص من رب العالمين لمن يصطفى من أنبيائه ورسله ومن يشاء من عباده .. فلا حرج على فضل الله .

وليس الأمر قاصرا على الحيوان والنبات .. فالله جل شأنه يقول (الرعد-١٣): ﴿ وَدَسَّخُ الرُّعْدُ كَلِمَتَهُ ۖ وَالْمَلَكُ مِنَ خِيفَتِهِ ۖ ... ﴾

إذا الرعد مخلوق .. يسبح الله تعالى . وتعريف الرعد أنه مجرد صوت ... ينتج من التقاء السحاب المحمل بالشحنات الكهربائية السالبة والموجبة، فينتج البرق اللامع نتيجة للتفريغ الكهربى بين السحب، يحدث الرعد نتيجة لهذا التفريغ الهائل الكم والحجم .. فالرعد لا يزيد عن الصوت العادى ..، مثله مثل أى طريقة على الباب أو أى صوت آخر

ناتج عن أى مسبب ..

وقياسا عليه يكون كذلك نبض القلب فى الجسد، فإنك تسمعه بأذنك المجردة أو بالجهاز الطبى الخاص .، فهل يجوز لنا أن نقول إن نبضات القلوب تسبح الله تعالى مثل الرعد وكلاهما صوت !!

أقول نعم . فأى صوت كان هو مخلوق يسبح الله تعالى، شأنه شأن أى مخلوق آخر، وسبحان سامع كل صوت، وسابق الفوت، ومن لا يشغله شأن عن شأن .

فمن الواضح أن هناك مخلوقات تراها .، ومخلوقات تراها وتسمعها .، ومخلوقات تسمعها دون أن تراها .، وكل هذا إذا أضفنا إليه الجمادات يسمى بعالم الملك أو عالم الشهادة .

فالجماذ ساكن لا ينمو، ولكن قد يتحرك بنفسه كالشمس والقمر .، وقد يتحرك بغيره كباقي الجمادات ...، والنبات له نمو وحركة فى اتجاه واحد وله حياه وموت، والحيوان له نمو وحركة فى كل اتجاه وكذلك له حياه ونمو وموت...

• الإيمارات فى كتابات عالم الشهادة

يقول جل شأنه فى سورة الإسراء: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿١١﴾ ويقول فى سورة التغابن: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٠﴾ .. فالله سبحانه وتعالى يبين لنا

أَنَّ كُلَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ يَسْبِحُ حَمْدَ اللَّهِ شَأْنَهُ .. ويقول في سورة البقرة: ﴿... وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ويقول (سورة الأعراف - ١٤٣): ﴿... فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ...﴾ ، وذلك عندما طلب سيدنا موسى رؤية ربه جلّ وعلا، فلما تجلّى الله تعالى بالكيفية التي تليق بجلاله على الجبل الصخر الشديد البأس فجعله دكاً.. ولم يحتمل هذا الجبل التجلى الإلهي .

ويقول صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد "إنه يحبنا ونحبه" كما رواه البخاري، عندما صعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبوبكر وعمر وعثمان فاهتز بهم الجبل خاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " اسكن أحد إنك نبي وصديق وشهيدان " .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يكلمه الجبل، والجبل يحبّه، والحجارة تهبط من خشية الله، والجبل يندك من التجلى الإلهي عليه .

بل وأكثر من هذا نرى في القرآن الكريم إشارات ومعان دقيقة يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده فهما وذوقا وعلما وادراكا وذلك لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

ويقول الله تعالى في الحديث عن آل فرعون بعد غرقهم في سورة الدخان: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢١﴾﴾
أى أن السماء والأرض تحزن وتبكي !!

والذى يبكي في موقف معين يكون قادراً على الرضا في موقف مغاير .. فإذا لم تبك السماء والأرض على آل فرعون نظراً لكفرهم

والحادهم، فلعلها تبكى وتحزن على موت الصالحين المؤمنين، ويؤكد هذا المعنى قول رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه عن ضمة القبر للميت عقيب الدفن، فيروى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال "إن للقبر ضمة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ".

ولقد قال شارحو هذا الحديث - واصفاً - إن ضمة القبر للمؤمن بأنها كحنان الأم على ولدها بعد طول غيابه حبا وشوقا إليه، وضمة القبر للكافر تختلف فيها أضلاعه من شدة الضم ومن كراهية الأرض له.

فالأرض تحنو.. وتغضب.. وتبكي.. وهى فوق ذلك شاهدة يوم القيامة على أعمال العباد الصالحة وغير الصالحة.

ويخاطب الله سبحانه وتعالى الأرض والسماء حيث يقول فى سورة فصلت ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ ويقول (فى سورة هود- ٤٤): ﴿ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَعِي ... ﴾ والجبال تسبح مع سيدنا داود عليه السلام (سبأ-١٠): ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أُوبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرِ وَالنَّارِ لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ ويقول (فى سورة يس -٣٨): ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ... ﴾ فالواضح أن الجمادات تسبح الله تعالى.. وتحس وتدرك.. وتبكي.. وتخشى الله تعالى.

ويقول تعالى (فى سورة الرحمن-٩): ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ والنجم هو النبات الذى ليس له ساق، فالنبات يسبح ويسجد لله تعالى وقد اثبت العلماء مؤخرا ان له شعورا كذلك . وهو كائن حى بلا شك .

والحيوان قد خلقه الله تعالى على درجة ثابتة من العلم والتسبيح له جلَّ شأنه .. وهو بالطبع يُحسُّ وَيَعِي .. انظر إلى قصة الفيل في جيش أبرهة عندما أراد ان يهدم الكعبة .. لقد برك الفيل في وادي يسمى بوادي محسر .. حسر الفيل وبرك وأبى أن يتقدم لبيت الله الحرام فإذا وجهوه وجهة أُخْرَى قام يهرول .. فإذا وجهوه إلى الكعبة أبي المسير وبرك . إِنَّهُ يَعْقِل وَيَعْرِف ما هو مقبل عليه، ويعرف حرمة بيت الله تعالى، فإن قلت لى إِنَّهُ لَا يَعْقِل وَلَا يَفْهَم ولكنه أمر الله أقعده في مكانه، قلت لك فما بالك في ناقة رسول الله ﷺ عندما وصل مهاجرا إلى المدينة المنورة وأهل المدينة يتسابقون إليها ويمسكون بخطامها، يريدون إناختها عندهم، واستضافة رسول الله ﷺ، ماذا قال لهم الرسول؟؟ قال "دعوها فإنها مأمورة" أى مأمورة بالمكان الذى سيحل فيه رسول الله، فكانت تمشى وتتلقت يمينا و يسارا، وكأنها تتأكد من المكان، ثم بركت في المكان الذى أراده الله تعالى، أمام بيت أبى أيوب الأنصارى، وذلك كما رواه البيهقى وابن إسحاق وغيرهما، أليس هذا إدراكا منها .

والله جلَّ شأنه يُجْمِلُ كُلَّ هَذَا فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

فأنت ترى أنك محاط بموجودات لا نهاية لها ولا حصر لأنواعها ولا حد لتنوعها ما بين أفلاك وجماد وحيوان ونبات وأصوات ومخلوقات تناهت في الكبر والضخامة ومخلوقات تناهت في الصغر والدقة، وكلها تشعر وتحس وتسبح الله تعالى وتسجد لنور وجهه الكريم وكلُّ قد علم الله

صلاته وتسبيحه .. وكيف لا وهو جلَّ شأنه الذى خلقها وعلمها وهداها
لصلاتها وتسبيحها . وسبحان الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

ويبقى من خلق الله تعالى ابن آدم، تارة يذكر الله تعالى، وتارة
ينساه ويغفل عنه، إنَّه كان ظلوما جهولا، ظالم لنفسه، ساه عن ربه، جهولا
بعظمة الله وجلاله، إلا من رحم ربي وهداه إلى ذكره وشكره وحسن
عبادته، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ..

فعالم الشهادة أو عالم الملك هو كل هذا الكون العظيم
والموجودات التى تشاهدها بعينك المجردة أو بصنعة تعينها على
الرؤية.. والتى تسمعها بأذنك المجردة أو بألة تزيد قدرتها على السمع ..
أو تدركه بأية حاسة من الحواس كأن تتذوق الملح فى ماء البحر أو تشم
الطيب فى الهواء .

يقول تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ويقول فى سورة الأنعام : ﴿ ... وَيَعْلَمُ مَا
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي
ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ ويقول
فى سورة يونس : ﴿ ... وَمَا يَعْرُجُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾
ويقول فى سورة هود : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا
وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ ، وكيف لا ..
والله تعالى هو قيوم السموات والأرض .. والقائم على كل نفس ..
والمدير لهذا الكون العظيم، فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن، ولا

تأخذه سنة ولا نوم جلّ جلال الله ..

والعجيب أن كل هذه الموجودات على تنوعها وعظمتها وقوتها ..
كلها مسخرة بأمر الله لك أنت أيها الإنسان .

يقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ، ويقول في سورة النحل (الآيات ١٢-١٦) :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن
تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ
هُمَّ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

ذلك أنك أنت الخليفة في الأرض، والخليفة له السيطرة وله
الانتفاع بما استخلف فيه، وذلك إذا أحسن القيام بواجبات خلافته
وحافظ على حدودها وآدابها ...

يقول تعالى (البقرة - ٣٠): ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ... ﴾ ، فأنت الخليفة في الأرض .. فإن شئت قمت

بالخلافة كما يجب .. وان شئت ضيعتها.

ويقول ربُّ العزة والجلال في سورة التين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾

فالإنسان إذا ليس على درجة واحدة، بل هو يتراوح ما بين أحسن تقويم .. وأسفل سافلين، وكم بين هاتين الدرجتين من درجات . وكم فيها من صفات يرتفع الإنسان بها إلى أحسن تقويم أو ينزل إلى أسفل سافلين .

وحيث إننا نرى الصورة البشرية واحدة لا تتغير، فكل إنسان له نفس الجسد المشابه للآخر بوجهه .. وعجزه .. ويديه .. ورجليه إلى آخر الصورة الآدمية، فيكون من البدهى أن المقصود بأحسن تقويم وأسفل سافلين أنهما درجتان ليستا من الصورة البشرية المادية .. ولكنهما صورتان معنويتان لنفس الصورة البشرية الموحدة، أي إن هناك صفات معنوية غير مرئية تضاف إلى الصورة المادية أو تنزع منها فترفعها إلى أحسن تقويم أو تنزل بها إلى أسفل سافلين .

ويؤكد هذا المفهوم الاستثناء المذكور في الآية الكريمة "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" فهؤلاء مستثنون من الارتداد إلى أسفل سافلين .. والسبب أَنَّهُمْ آمَنُوا .. وعملوا الصالحات ..

وعلى هذا يكون الارتداد إلى أسفل سافلين إنَّما هو على قدر درجة كفر الإنسان أو مستوى أفعاله من المعاصي الكبائر أو الصغائر ...

اللَّهُمَّ يَا عَظِيمَ الشَّانِ يَا سَاطِعَ الْبُرْهَانِ .. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ إِلَيْكَ .. وَسَلَّمْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ .. رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ ..

آمنت برسولك الذى أرسلت .. وكتابك الذى أنزلت .. لا إله إلا أنت
أستغفرك وأتوب إليك ..

● الخِلافة للإنسان فى الأرض

الخِلافة للإنسان على الأرض لا شك فيها .. ولكن الإنسان بطبيعته
البشرية الطينية ضعيف .. فهو لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً،
ولن يطير فى الهواء كالطير السابح بها، ولن يقوى على الحديد الذى
فيه بأس شديد .. هو محدود الطاقة، فكيف تتسنى له الخِلافة فى
الأرض ...

من المنطقى البدهى أن يكون الخالق العظيم رب كل هذه
الموجودات قد أمده بسر من عنده تعالى وهياً لهذه الخِلافة، ولا بد أن
يكون هذا السر مميزاً لابن آدم عن بقية الموجودات، يقول تعالى فى
سورة الإسراء: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا
﴿٧٠﴾ ، وواضح أن هذا التفضيل ليس مطلقاً .. وبالتالي فإن الخِلافة عن
الله تعالى ليست مطلقة .. ذلك أن طاقات الإنسان محدودة مهما
اتسعت، والله سبحانه وتعالى عوالم لا تعد ولا تحصى، ولا يستطيع البشر
مهما علا قدرهم أن يدركوها كلها فلا بد أن يكون هناك فرق بين
العبودية والألوهية .. عبودية الإنسان الخليفة .. والألوهية الخالق جلَّ
شأنه .. فليس كل إنسان بشرى هو الخليفة الكامل لله تعالى فى الأرض،
بل إنَّ حظه من هذه الخِلافة إنَّما يكون على قدر إيمانه وعمله
الصالح ..

ومن البدهى على هذا الأساس ألا يكون الكفار والملحدون
الذين يفهمهم الله تعالى بأنهم كالأنعام بل هم أضل .. هم خلفاء الله في
الأرض ..

ورغم ذلك فإننا لا ننكر أن من هؤلاء الكفار الذين هم في أسفل
سافلين قد يكون لبعضهم أثر في هذه الخلافة التي ذكرت في القرآن
الكريم .. فإن الإنسان مكرم مهما كانت درجته .. ، فقد نفخ الله تعالى فيه
من روحه جل شأنه وكرم صورته .. ولقد كان رسول الله ﷺ إذا رأى
جنازة مؤمن أو كافر تمر عليه يقوم واقفا، كما رواه البخاري ومسلم " إذا
رأيتم الجنازة فقوموا لها حتى تخلفكم أو توضع "، كما كان ينهى ﷺ عن
التمثيل بجث القتل من الكفار .. وذلك احتراماً للصورة البشرية وما
فيها من نفخة الروح الربانية .

ولكن مقصود كلامنا هو أن الخلافة في الأرض لها درجات لا نهاية
لها . وهي ما بين أحسن تقويم وأسفل سافلين .. وأن هذه الخلافة تستلزم
وجود صفات معنوية في الإنسان تقل وتزيد حسب درجة خلافته أو
العكس بمعنى أن تكون خلافته على قدر ما فيه من هذه الصفات، وإن
هذه الصفات المعنوية إنما هي درجة إيمانه بالله تعالى ومستوى طاعته
لأوامره جل شأنه، أو هي باختصار درجة معرفته بالله تعالى .

فالخليفة الكامل في الأرض يمدد الله بلا شك بقوى وصفات من
عنده تعالى تجعله قادراً على الانسجام والتآلف مع الموجودات
الأخرى، وأول هذه الصفات هي قدرة الإنسان على رؤية هذه الكائنات
وسمعها والتفاهم معها وفهم أسرارها واستجلاء معالمها وعوالمها الظاهرة
والباطنة، وأعلى هذه الصفات هي تسخيرها والتآلف مع باطنها وحكمة
وجودها وإدراك صلواتها وتسبيحها .

فإن قلت إن العلماء الكفار قد يستجلبون بعض أسرار هذه الكائنات

الموجودة، نقول لك شتان ما بين علم الكفار بهذه الأمور، وبين ما
نقصده من علم المؤمنين بتجليات الله تعالى في هذه الكائنات ...

ولقد قال عفريت من الجن لسيدنا سليمان عليه السلام
(النمل - ٣٩) عندما طلب إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ: ﴿... أَنَا ءَاتِيكَ
بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ...﴾ وذلك بخاصية قد خلقها الله تعالى
في الجن .. ولكن الذى عنده علم من الكتاب وهو من البشر ويقال إنه
وزير سليمان قال له (النمل - ٤٠): ﴿... أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ
إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ ، أى فى لمحة واحدة، وكلاهما صاحب قدرة ..
ولكن وزير سليمان عنده سرٌ خاص .. فشتان ما بين الاثنين وشتان ما بين
الطرفتين ..

وعلى أية حالة فإن العالم الكافر بالله قد يستجلى سر صنعة الله
تعالى فى موجوداته بسر قد أودعه الله فيه من أسرار الخلافة أيضا ..
وهو العلم مثلا .. والله تعالى يقول (الإسراء ١٨-٢١) : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٢١﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ
مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٢﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ ويقول
جلَّ شأنه فى سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ
الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ ، ثم قال تعالى (فى سورة فاطر - ٢٨): ﴿...

إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ... ﴿١٠﴾ ، بمعنى أن العلماء بالله تعالى العارفين به هم الذين يخشونه، وعلى قدر علمهم بالله على قدر ما تكون خشيتهم .

فليس العلم كله واحدا .. صحيح أن العلم كله من الله يوزعه حسب طاقة خلقه وعلى شاكلتهم، فهو للكافر والمؤمن، كل على قدره وعلى قدر ما هبئ له .. ولكن العلم بالله .. فهذا عزيز المنال .. ولا يمنحه الله تعالى الا لمن يحبه ويصطفيه، ولذلك شرط الله تعالى له شرط التقوى فقال (البقرة - ٢٨٢) : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ ، كما وصف العبد الصالح في سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ﴿١٠﴾ ، فقد سبقت لهذا العبد الصالح رحمة خاصة من الله تعالى، تلاها علم خاص من لدنه تعالى .

فهناك علم ليس هو بالتحصيل ولا بالكسب ولا بالدراسة، ولكنه بتقوى الله تعالى وحسن عبادته وإكرام الله تعالى للعبد، وهذا حدث عنه ولا حرج، أما العلم الأول المكتسب فهو ظاهر من الحياة الدنيا فقط.. ولكن العلم الثاني هو ظاهر وباطن وسبحان المعطى الوهاب .

ولنضرب مثلا مبسطا للحالتين، مريض عرض على طبيبين أحدهما طبيب دنيوى عقلاى والآخر طبيب أخروى عقلاى، فالأول يصف الدواء ناظرا إلى خواصه فى محاربة الجراثيم وأثره فى جسم المريض، فإن شفى قال شفاه دوائى .. وإن فشل وصف له علاجا آخر والتمس الأعذار لفشل العلاج الأول .. أما الطبيب المؤمن فإنه يصف الدواء عارفا بمقوماته وخصائصه فى محاربة الجراثيم، ولكنه ناظر ومتأكد من أن الشفاء من الله تعالى، فإن نجح العلاج قال شفاه الله لإيمانه بأن

الشفاء من الله وليس من الأسباب، وإن فشل وصف له العلاج الثاني، وقال له الله هو الشافي وليس الدواء، فالطبيبان كلاهما قد أخذ بالأسباب، ولكن الأول ناظر إلى الدواء .. والثاني ناظر إلى رب الدواء..، متمثلاً قول رسول الله ﷺ وهو يقول لأصحابه "داووا مرضاكم بالصدقة"، كما رواه الديلمي عن ابن عمر، وهنا العجب فأى أثر للصدقة إلى فقير محتاج على مريض يعانى من علة نزلت بجسده !!! ولكنه الإيمان وسر قدرة الله تعالى .

فانظر رحمك الله كيف يربط سيدنا رسول الله ﷺ في أذهان الناس الصلة بين الماديات والروحانيات، بين الصدقة وفعل الخير وما يقاس عليهما وبين العِلل وأسبابها المادية ..

وما نريد ان نصل إليه - وقد أطلنا في مقدمته - هو أن عالم الملك أى عالم الشهادة، وما فيه من كائنات يستلزم لإدراكه ومعرفته أن يكون الإنسان فى أحسن تقويم، أو على الأقل فى تقويم حسن، فيجب ان تكون حواسه حسنة وأهم من ذلك ان يكون إدراكه حسنا.

وأهمية الإدراك هو أنه المترجم الحقيقى لكل الحواس من نظر وشم وسمع وخلافاً، فالعين مثلاً هي آله تطبع فيها الصور فقط، بل وتكون الصورة مصغرةً ومقلوبةً على الشبكية ولا يتجاوز طولها المليمترات فقط، ولكن الإدراك هو الذى يترجم هذه الصور إلى حجمها ووضعها الطبعى الحقيقى وألوانها الطبيعية ثم معرفة مسميات أصحابها ..

ونفس الوضع بالنسبة لباقي الحواس المادية، فهي أنما تنقل إلى المخ إشارات فقط لا فيها لون ولا رائحة .. أما تعريف وتمييز هذه الإشارات وتعبيرها فهذا من شأن الإدراك الذى هو فى المخ كما يقولون ..

فإذا تمادينا فى تساؤلنا عن دور المخ، فإننا نجد أنه لا يزيد عن خلايا حية ذات تركيب خاص وبه إشارات كهربية لا غير .. صحيح أن فيه

مراكز أعصاب خاصة بكل حاسة، فالبصر له مركز .. والسمع له مركز ..
والشم له مركز وهكذا .. ولكن يظل السؤال أين المترجم لهذه
الإشارات !!! إنك لو شرحت مخ أى إنسان لن تجد به مكتبة فيها
مراجع عن الألوان، ولن تجد به مراجع عن الأصوات، ولا الروائح ..
ولن تجد إلا كتلة من الخلايا .. فأين الإدراك ..؟! أين التمييز ..؟!

والعجب أنك لو كنت مستغرقا فى عمل ما، وطرق أحدهم عليك
الباب، فإنك قد لا تسمعه وتعلل ذلك باستغراقك فى ذلك العمل .. وهذا
صحيح، ولكن السؤال هو: أين كان سمعك وأنت مستغرق فى عملك
بيدك وعينك وليس بسمعك؟! أليس أذناك هما أذناك سواء عند
استغراقك فى عمل أو عدم استغراقك فيه؟! فلماذا لم تسمع الطرق
على الباب !! .

كذلك قد تصاب بجرح فى معركة .. ولكنك لا تشعر بالجرح ولا
بألمه إلا بعد انتهائها !! أين كان احساسك خلال المعركة !!! هل تغير
فيك شئ من الناحية الحسية أثناء وبعد المعركة !!! بالطبع لم يتغير شئ
مادى .. ولكن فى الواقع إن الذى تغير بالفعل هو إدراكك أو تمييزك
أثناء وبعد المعركة .. وأثناء استغراقك فى عمل ما، فمن الواضح أن
مُعَوَّلَ الأمر كله على الإدراك .. وليس على الأعين ولا الآذان ولا
الحواس، وسبحان من يقول فى سورة (الأعراف- ١٧٩) : ﴿ ... وَهُمْ
أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ... ﴾ ويقول (فى سورة الأعراف- ١٩٨) : ﴿ ...
وَتَرْتَلَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، ثم يصف الكافرين فى
سورة البقرة- ١٧١ بأنهم : ﴿ ... صُمُّوا بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

ومعنى هذا أن الكفار لهم آذان ولكنهم لا يسمعون بها، فكأنما ليس
لهم آذان .. وكذلك ليس لهم أعين وليس لهم لسان .. لأنهم لا يسمعون

كلام الله .. ولا يرون آياته .

إذا من هو الأعمى ومن هو البصير؟! لا شك أن البصير هو
المؤمن والأعمى هو الكافر .

ومن هو السامع؟! إنه المؤمن والأصم هو الكافر .

ومن هو المتكلم؟! إنه المؤمن والأبكم هو الكافر .

بل من هو الحي ومن هو الميت؟! .

يقول تعالى يصف الكافرين في سورة (الأنعام - ١٢٢) : ﴿ أَوْ مَنْ

كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ

فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا .. ﴾، ويقول لرسوله ﷺ في كلامه عن

الكافرين أيضا في سورة النمل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمَعُ

الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٤١﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْعَمَى عَن

ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِغَايَتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٢﴾ ،

ويقول في سورة فاطر - ٢٢ : ﴿ ... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

فالكفار أمواتٌ .. بل هم في القبور .. أي قبور أنفسهم المادية ..

وخلاصة القول أن المستجلى لعالم الملك والشهادة ومخلوقات

الله وآياته في خلقه لا بد من أن يكون ذا إدراك سليم، فإذا نقص

إدراكه عن الكمال نقصت مشاهداته ونقص علمه ونقصت خلافته في

الكون بنفس المقدار .. فلا يرى من عالم الشهادة ولا يفهم من عالم

الملك، لأنه لا يستجلى آيات الله فيه إلا على قدر إدراكه ..

أما كيف يكون إدراكه حسنا ومتكاملا فذلك ما سنتعرض له فيما
بعد بإذن الله تعالى .

● عالم الغيب أو الملكوت :

خلصنا فيما سبق إلى أن عالم الشهادة هو كل ما يدرك من
الموجودات بالإدراك المعتدل والحواس السليمة غير المعتلة بمرض
مادى أو معنوى ..

وتعريف عالم الغيب هو بالتالى كل موجود لا يدرك بالحواس
السليمة والإدراك المعتدل .

وهناك تعاريف كثيرة لعالم الغيب أو الملكوت كما يطلق عليه،
ولكنى حريص على ألا أنقل إليك التعبيرات المعقدة، القديمة أو
المحدثة ..

لذلك نقول ببساطة أن عالم الغيب هو كل موجود غاب عنك ..
كل ما غاب عنك فهو غيب .. كل ما خفى عليك فهو غيب ..

نقول هذا التعريف على إطلاقه .. ثم نأتى بعد ذلك إلى
التفصيل ..

إذا كنت فى مكان ما وحدث حادث فى مكان آخر بعيد عنك ..،
فهذا البعد بينك وبين الحادث قد جعله بالنسبة لك غيبا .. فأنت فى
القاهرة لا تعرف ما يحدث فى الإسكندرية وقت وقوعه .. اللهم إلا إذا
استعنت بأجهزة كالراديو أو التلفزيون تنقل إليك ما يحدث من على
البعد وفور وقوعه .. وذلك أنها تلغى المسافة بين مكان الحادث ومكانك
فتراه وتسمعه وقت حدوثه وكأنك معه ..

إذا فالذى يجعل الأمر غيبا بالنسبة لك هو وجود حاجز بينك وبين

ما يحدث، وهذا الحاجز هو بعد المسافة أو وجود حائل سميك بينك وبينه كالجدار مثلا، فإنه يمنعك أن ترى ما يحدث خلفه، فيصبح كل ما يحدث خلف الجدار هو غيب بالنسبة لك ..

ونفس الأمر يتكرر مع الزمن .. ذلك أن ما سيحدث في الغد هو غيب بالنسبة لك والسبب هو أن الزمن حائل بينك وبين الغد .. فإذا جاء الغد وأصبح الزمن بينك وبينه صفرا أى صار المستقبل الذى كنت تنتظره حاضرا وحدث الحدث وشاهدته فإنه لم يعد غيبا ..، فما سيحدث في الغد هو غيب اليوم ..، وما سيحدث الآن هو غيب الأمس، وهكذا مع مرور الزمن تجد أن كل غيب زمنى لا يصير غيبا .. فكلما حان وقته حدث وصار حاضرا .. فمثلا إذا كانت المرأة حاملا فهي لا تدرى أحملها مؤنث أم مذكر .. فهو بالنسبة لها غيب ... حتى إذا حانت ساعة الوضع وبمجرد نزول المولود ومعرفة نوعه صار الغيب حاضرا ..

وعلى هذا يكون الحاجز الثانى بينك وبين الغيب هو عنصر الزمن . والحاجز الأول كما قلنا هو عنصر المسافة .

ومما سبق نستطيع القول بأن الغيب أنواع ..،

فمنه غيب موجودات غابت عنك لأنك لم تستطع إدراك وجودها بحواسك السليمة وإدراكك السليم المعتدل ..، ولكنك قد ترى هذا الغيب إذا استعنت بأجهزة حديثة ساعدت إدراكك كاستخدامك مثلا لجهاز أشعة سينية لترى ما فى عظام الإنسان داخل جسمه، أو جهاز تليفزيون أو هاتف ينقل إليك الصورة أو الصوت فور وقوعه .

وهناك غيب أحداث، وهو ما يكون الحاجز بينك وبينه هو حاجز الزمن .. كأحداث الغد مثلا بالنسبة لليوم ..

وباختصار يكون الأمر عنك غيبا لوجود حائل بينك وبينه .. إما حائل زمن وإما حائل مسافة ..

وتلاحظ أن الحالتين السابقتين يكون الغيب فيهما نسبيا ..، بمعنى أن ما يكون غيبا في لحظة لا يصير غيبا في لحظة تالية ..، وذلك متى انعدم حاجز الزمن أو حاجز المسافة ..، لذلك فهو غيب نسبي وليس مطلقا ..، أى ليس غيبا دائما ..

فإذا عرفنا الغيب النسبي بأنه ذلك الغيب الذى لا يصير غيبا بانعدام المانع بينك وبين مشاهدته أو سماعه ..، فعلى هذا يمكن تعريف الغيب المطلق بأنه ذلك الحادث أو المخلوق الذى يظل الحاجز بينك وبينه مستمرا .. ولا يمكنك بجهاز أو بصنعة ما أن تراه أو تسمعه أو تحس به بحواسك الخمسة المعروفة وإدراكك المعتدل كما قلنا .

فهذا النوع أو هذه الدرجة من الغيب هى غيب مطلق بالمفهوم العام..

فعلى سبيل المثال نحن نعلم أن الجن عالم موجود، وكائنات مخلوقة وذلك بنص القرآن فى سورة الحجر -٢٧: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾، وفى سورة الرحمن -٣٣: ﴿يَمَعَشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾، وفى سورة الأحقاف -٢٩: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ...﴾، إلى آخر مثل هذه الآيات فى كتاب الله الكريم .. وهناك سورة كاملة تتحدث عنهم وهى سورة الجن ..

فالجن إذا مخلوق وموجود .. ويعيش بيننا ومعنا على الأرض ..، ولكنك لا تستطيع أن تراه ببصرك المجرد، ولا باستخدام جهاز خاص كما ترى الجراثيم بالميكروسكوب مثلا ..، لذلك يظل الجن غيبا عليك

حيث أنك بحواسك وإدراكك المعتدل لا تستطيع أن تراه ... وذلك لأنك أصلاً غير معدٍ لرؤيته ...

فإن قلت إن بعض البشر قد رأوا أو سمعوا الجن ..، قلنا لك إن هذا وضع خاص بالنسبة للجن أو الرائي أو السامع أو لكليهما ..

فإما أن يكون الجن قد نزل بخواصه الخلقية حتى يستطيع البشر أن يراه أو يسمعه ..، وهذه خاصية عنده .. قد خلقها الله تعالى فيه لا تنكر ..، فالجنى قادر على أن يتمثل في صور مادية شتى تدخل حينئذ في مجال إدراك البشرى فيسمعه ويراه ..،

والاحتمال الثاني هو أن الله تعالى قد وهب ذلك للإنسى قدرة غير عادية، لسبب لا نعرفه بحيث يدرك الجن ويتعامل معه

وقد كان الجن في الجاهلية تتعامل مع الكهنة وسدنة الأصنام وتكلمهم .. وذلك بعد بعثة رسول الله ﷺ ..، حيث كانت تقعد في السماء مقاعد للسمع تسترق أخبار الملائكة، فلما بعث رسول الله ﷺ أرسلت عليها الشهب فاحرقت، ولم تعد تقعد مقاعد الاستماع تلك في السموات، وذلك إكراماً لرسول الله ﷺ، وحتى لا تسترق السمع إلى آيات القرآن، وهى تنزل من السماء، فتسبق به إلى الكهنة، كما كانت تفعل، وقرأ سورة الجن في القرآن الكريم فإن فيها تفصيل ذلك ..

وكان نبي الله سليمان يخاطب الجن ويحكمهم ويؤدبهم ..، وقد روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه قد أمسك رسول الله ﷺ بجنى في مسجده وأدبته، وقال إنه كاد أن يربطه في سارية المسجد ليلعب به الصبيان، لولا دعوة نبي الله سليمان عليه السلام ..، والمعنى أن نبي الله سليمان قد طلب من الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأن الله حكّمه في الإنس والجن والطيور .. فرسول الله ﷺ قد ترك لسيدنا سليمان هذه الخاصية والحكم على الجن أدبا مع الله تعالى،

لتتم دعوة سليمان، أى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ...، وذلك مع قدرته
ﷺ على تأديبه والحكم عليه..

ومقصودنا باختصار هو أن الإنسان ببشريته المعتدلة وإدراكه
وحواسه السليمة لا يدرك الجنى لا بصنعة ولا بغير صنعة .. ولا بجهاز ولا
بغير جهاز، اللهم إلا بأمر الله تعالى وهو استثناء خاص ...
وعلى هذا يكون عالم الجن هو غيب مطلق لأنه يظل غيبا عنك
دائما ...

ونفس الأمر بالنسبة للملائكة .. وما أكثر عددهم وأنواعهم
ودرجاتهم، ولكنهم يظلون دائما فى عالم الغيب، لا يدركون بحيلة ولا
جهاز ولا آلة ..، ولكن يمكن إدراكهم بالاستثنائين السابقين، وهو تمييز
الله تعالى لعباد من عباده بقدرته على رؤيتهم وسماعهم ..، أو بتنزل
الملك عن ماهيته ليدخل فى دائرة إدراك الإنسان .

وقد رأت الصحابة رضوان الله عليهم سيدنا جبريل عليه السلام فى
صورة الصحابى دحية الكلبي ..، كما رآته فى صورة رجل جاء يسأل رسول
الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان كما فى الحديث المشهور ..، ففى
هذه الحالة تمثل سيدنا جبريل عليه السلام بصورة آدمى .. شديد بياض
الثياب .. شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ..

كما كان بعض الصحابة تسمع سلام الملائكة عليهم، كما سمع
بعض الصحابة صوت الملائكة فى غزوة بدر وهى تقول " اضرب حيزوم"،
"أقبل حيزوم"، سمعوا صوتا ولم يروا صورة ..، وحيزوم هذا اسم ملك من
الملائكة . وقد رواه مسلم، عن "ابن عباس" رضى الله عنه .

روى البيهقى عن "ابن عباس بن عبد المطلب" أنه قد أرسل
ابنه "عبد الله ابن عباس" إلى رسول الله ﷺ فى حاجة، فوجد عنده
رجلا، فرجع، ولم يكلمه من أجل مكان الرجل، فلحق العباس رسول الله

فأخبره بذلك فقال : ورآه؟؟، قال نعم، قال أتدرى من ذلك الرجل؟؟ ذاك جبريل، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما .

ولم يرى جبريلَ عند رسول الله في ذلك المجلس إلا ابن عباس، فهذه خصوصية له، وصدق رسول الله، فإن ابن عباس لم يمت حتى كان حبر الأمة وقد ذهب بصره كما أخبر ﷺ.

وهكذا يظل عالم الملائكة من الغيب دائما أبدا لا يدرك بالحواس المادية البشرية ذات الإدراك المعتدل .. وذلك باستثناء من خصه الله تعالى من خلقه بشيء من هذه القدرات ..

ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة فصلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا

رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

تَدْعُونَ ﴿٣١﴾

تقول الملائكة للمؤمنين، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا ... وهذا يدل على أن البشري لهم إنما تكون وهم في الحياة الدنيا .. فالملائكة تتولاهم وتطمئنهم على آخرتهم وما فيها من نعيم .

ولا مجال للقول بأن هذه البشري إنما تكون في الآخرة وبعد الموت ..، وذلك لأن المؤمن بعد الموت قد عرف مكانه ودرجته كما هو معروف، وتمت دنياه وأدبرت عنه واستقبل آخرته وعرف ما له وما عليه، فأية بشري تكون له حينئذ من الملائكة، وكيف تكون البشري بأئهم أولياؤهم في الحياة الدنيا وقد سبقت وانتهت !!

إن هذه الآية الكريمة، والشئ بالشئ يذكر، قريبة الشبه في دقة

معناها بقوله تعالى في سورة ابراهيم - آية ٢٧: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ، فإن من المعروف أن الفتن في الدنيا كثيرة ويتعرض لها الخلق أجمعون ومنهم الذين آمنوا، ولكن الله تعالى يثبتهم بالقول الثابت في فتن الدنيا .. وهذا أمر منطقي ..، ولكن نحن نعلم أن الآخرة ليست بدار فتن ولا امتحان، فكيف يكون التثبيت من الله فيها !!

نُجِيبُ بَأَنَّهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَيْضًا أَنَّهُ لَيْسَتْ هُنَاكَ فِتْنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا فِي سَوَالِ الْمَلِكِينَ فِي الْقَبْرِ، وَهُوَ صَحِيحٌ، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ ..، فَيَكُونُ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ وَاضِحًا وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَثْبِتُ الَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ هَذَا السُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ .. وَالْقَبْرُ هُوَ أَوَّلُ مَدَاخِلِ الْآخِرَةِ.

وخلصة القول هو أن عالم الملائكة هو من عالم الغيب المطلق كعالم الجن الغيبي.

ثم نأتى إلى أمر عجيب ...

تمعن في الآيات القرآنية التالية:

في سورة الصافات: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وفي سورة آل عمران - ٣٠: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ...﴾ وفي سورة الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ وفي سورة فاطر - ١٠: ﴿... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ...﴾ وفي سورة الكهف - ٤٩: ﴿... وَوَجَدُوا

ويقول بعض المفسرين بأن المقصود من الكلم الطيب هو قول لا إله إلا الله ... وأياً كان المعنى المقصود منه فما يلفت نظرنا هو التعبير بالصعود والرفع .. والحضور .. فمن المعروف أن الصعود والرفع لا يكون إلا لمخلوق .. لكائن يصعد ويهبط ويحضر ويغيب، وقول الله تعالى : "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" ..، إذا فهمت على إطلاقها تحسم الأمر تماماً بأن أعمال العباد هي مخلوقات .. لها كيان وصعود وهبوط وحضور وغياب، وهذا بصرف النظر عن نوع هذه الأعمال . سواء أكانت معصية أم طاعة ..، فالفعل قائم بذاته ..، هو عمل مستقل ..، فقتل الكافرين في الحرب فرض جهاد يُدخل الجنة .. وقتل المؤمنين لأى سبب غير شرعى كبيرة يوجب دخول النار، والفعل واحد، هذا قتل وهذا قتل، ولكن الذى صيّر هذا عبادة وصيّر هذا من الكبائر هو النيّة التى فى القلب .

فالفعل مخلوق مجرد لا هو طاعة ولا هو معصية ..، وهذا الفعل أنت قد أوجدته بقوتك التى خلقها الله فىك، ولذلك فهذه الأعمال منسوبة إليك بالإضافة وليست بالخلق .. فأنت لم تخلقها، فخالقها هو الله تعالى ولكنها وجدت عن طريقك وبسببك ..، وطالما أن الأفعال مخلوقة ولها كيان، فلا بد من أن تكون مسبحة لله تعالى عارفة به، فإن كل المخلوقات تسبح بحمده جلّ شأنه العظيم .

والمقصود من نسبة الأفعال إليك نسبة إضافة أنها مثل ولدك الذى من صلبك ..، فهو منسوب إليك بلّ ويحمل صفاتك ..، فأنت قد أوجدته بعملك المشترك مع أمه التى ولدته ..، فهو منسوب إليكما .. نسبة إضافة ..، ولكن الذى خلقه وصوره ونفخ فيه من روحه هو الله تعالى ..، فابنك منسوب إليك إضافة ومنسوب إلى الله خلقاً وإنشاء .. ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ .. فى سورة الصافات، ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا
فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ ﴿٦٦﴾ فى سورة الفرقان .. ويقرب
الله المعنى حيث يقول فى سورة النساء -١٧١ : ﴿ ... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ... ﴾ ..
فالخلق كلمة من كلام الله تعالى الذى هو صفة من صفاته .. والله جلَّ
شأنه منزّه عن الكلام باللسان والشفيتين ككلام البشر تعالى الله عما نقول
علوا كبيرا.

فمقصود قولنا هو أن نصل إلى أن جميع أفعال العباد من خير وشر
وطاعة ومعصية هى مخلوقات قائمة بذاتها لها كيان ووجود وتسبيح لله
تعالى على الدوام، شأنها شأن باقى المخلوقات ...

وقد قيل إن العبد المذنب إذا تاب وصحت توبته من معصية
فعلها.. فإن الله تعالى بجوده وكرمه وفرحه بعبده التائب يجعل تسبيح
هذا الفعل الذى تاب منه - والذى هو مخلوق كما قلنا ويسبح الله -
فى صحيفة العبد التائب .. ويظل هذا الثواب من تسبيح المعصية
المخلوقة فى كتاب صاحبها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ ... فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ ﴾

وهذا الذى ذكرناه هو عالم آخر من عوالم الغيب والملكوت..
ونأتى إلى عالم آخر شأنه أعجب ..، نعيشه ولا نعيشه ..، ونراه ولا
نراه . ذلك هو عالم الرؤيا أو المثال كما يطلقون عليه ...
فمن المعروف أن النائم يفقد إدراكه بحواسه، ولا يميز ما حوله

وهو نائم، فهو لا يرى ولا يسمع ولا يستخدم حواسه البشرية ولا يدرك ما حوله ولا ما يصدر منه هو نفسه ..، لذلك فالنوم ناقض للوضوء لأن النائم لا يدري ماذا خرج منه .. ورغم انعدام هذه الحواس والملكات .. فإنه يرى رؤى فيها أحداث منطقية وغير منطقية ..، ويطير فى الهواء، ويزيد طوله ويقصر ..، ويرى أشياء لا صلة لها بالقوانين الأرضية البشرية ..، والأعجب من هذا انه قد يرى أحداث فى منامه ثم تحدث كما رآها تماما، أو بتفسير رموز قد رآها، وهو ما يسمى عند أهل هذا العلم بالتعبير أو التأويل.

ولنا هنا أن نتساءل أسئلة هامة:

الأول : أين ومتى وكيف رأى النائم هذه الرؤيا بينما عيناه مغلقتان وهو لا يرى ما حوله ولا يسمع ولا يحس بما يحيط به فى مكان نومه ؟ فكيف رأى وسمع وأحس ؟.

الثانى : ما يراه فى منامه ثم يتحقق بعد استيقاظه كما رآه أو بتحريف بسيط .. ما معناه !!! وأى ارتباط بين الأحداث التى رآها فى المنام والتى حدثت حقيقة !!!

الثالث : لماذا يرى النائم رموزا فى رؤيا تحتاج إلى تأويل وتعبير ولا يرى الأمور بمقاييسها فى الدنيا ؟

لا يتسع المجال هنا لشرح هذه التساؤلات ... ولكن سوف يأتى إيضاح بعضها فى الفصول القادمة بإذن الله

ولكننا نلقى بعض الضوء على هذا العالم العجيب .. فنقول وبالله التوفيق إن الرؤيا حق معلوم .. ومتواتر بين الناس ..، يقول ﷺ فيما يرويه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه "ذهبت النبوة ولم يبق إلا المبشرات .. قيل وما المبشرات يا رسول الله .. قال هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له" كما قال ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن "أم كرز"

ورواه الطبرانى عن " حذيفة "

ورؤيا الأنبياء هي وحى من الله تعالى، فسيدنا إبراهيم رأى فى المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل فقام لينفذ ما امر به مناما .. حتى تصل القصة إلى آخر قوله تعالى فى سورة الصافات: ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ .. ورسولنا ﷺ ظل ستة أشهر قبيل البعثة يرى الرؤيا فتأتى مثل فلق الصبح، أى تحدث بلا تأويل أو تعبير، ويقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه " إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .."، ولأهل العلم والمعرفة تفسيرات كثيرة لحكمة هذا التقسيم النبوى بأنها جزء من ستة وأربعين جزءاً .

وقد رأى سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام رؤياه التى قصها الله علينا فى القرآن الكريم وهو غلام صغير، وتحققت بعد بضع وعشرين سنة أو أكثر (سورة يوسف - ٤): ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾، وتحققت رؤياه وهو فى كمال رجولته بعد أن أصبح عزيز مصر: ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (يوسف - ١٠٠).

وعزيز مصر قبل ولاية سيدنا يوسف - ولم يكن مؤمناً - رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف .. وسبع سنبلات خضر .. وأخر يابسات

فكان تأويل سيدنا يوسف لها بسبع سنوات من الخير والرزق الوفير وسبع سنوات من القحط .. إلى آخر القصة المذكورة في القرآن.

وصاحباً سيدنا يوسف في السجن - ولم يكونا مؤمنين - رأى أحدهما أنه يعصر خمرا .. ورأى الآخر أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه .. فكان تأويل سيدنا يوسف لهما بأن الأول سوف يصير ساقى الملك .. أما الثاني فسوف يصلب فتأكل الطير من رأسه ..

إذا فالرؤيا الحق قد تكون لنبى .. وقد تكون لغير نبى .. وقد تكون لمؤمن .. وقد تكون لغير مؤمن .. والرؤيا الحق قد تحتاج إلى تعبير وتأويل .. وقد لا تحتاج وتأتى كفلق الصبح ..

ويأتى قول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرْنَكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥٤﴾ .. فالآية " إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا " هنا صريحة في أن الرؤيا من الله تعالى .

وقد كان رسول الله ﷺ إذا أصبح يسأل أصحابه إن كان أحدهم قد رأى رؤيا في ليلته تلك .. وكان ﷺ يفسرها لهم أو يؤولها لهم .. وكذلك كان يفعل أبو بكر رضى الله عنه .. والروايات عنه كثيرة في هذا الشأن ..

والرؤيا درجات وليست درجة واحدة .. فقد كان رسول الله ﷺ يوصى أصحابه بأن من رأى منهم رؤيا تحزنه فعليه أن يستعيز بالله من الشيطان، ويتفل على يساره ثلاثاً، ويتحول إلى الجنب الآخر .. ويقول لهم إنَّما هي من الشيطان .. كما ورد في حديث أبي قتادة رضى الله عنه والمتفق عليه .

وقد كان سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه كثير التفزع والأرق فى منامه فأوصاه ﷺ بأن يقول إذا وضع جنبه للنوم " أعود بكلمات الله التامات من غضب الله وعذابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأعود بك رب أن يحضرون" .. وقد روى مثله الإمام النسائي .

وعندما قصَّ عزيز مصر رؤياه على حكماء مصر، قالوا له إنما هي أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ..

فالرؤيا درجات ثلاث .. رؤيا حق .. ورؤيا من الشيطان .. ورؤيا أضغاث أحلام .

ثم إن الرؤيا الحق لها درجات كثيرة، ما بين أن تأتي كفلق الصبح أو تأتي بتأويل وتعبير لموزها، وهذا علم كبير له متخصصون فى قواعده وأصوله، وقد برع فيه كثير من التابعين، كسيدي جعفر الصادق وتلميذه ابن سيرين وغيرهم ..

ولسنا فى معرض الحديث عنه لذاته، ولكن من الواضح أن هذه الرؤى لها عالم خاص .. بأشكاله ورموزه وقوانينه ..، وذلك لأن الإنسان لا يرى إلا ما هو موجود . إلا ما هو مخلوق فعلا ..، فذلك أمر بدهى ..، ولكن المشكلة فى كيفية حدوثه أو وجوده وكيفية رؤيته ..،

بل حتى الخيال والوهم الذى تتوهم فيه صوراً شتى من محض خيالك وتصوراتك ..، هذا الخيال لو لم يكن موجوداً - مهما كانت غرابته فى نظرك - أقول لو لم يكن مخلوقاً وموجوداً فعلاً بكيفية ما لما استطعت أن تتخيله .

فكل ما تراه أو تتصوره هو موجود فعلاً ..، وإلا فكيف ترى العدم؟! العدم لا يرى ..

وسوف نفصل هذا الأمر عند الكلام عن النفس بإذن الله تعالى .

ونريد أن نشير إلى حقيقة أخرى .. وذلك أن الإنسان وهو نائم ..
وعندما تغيب حواسه البشرية ومدركاته المادية .. ولا يعي ما حوله من
الماديات.. فإنه وهو في تلك الحالة يستطيع أن يرى ويسمع ويدرك
بكيفية خاصة غير بصره وغير سمعه وإدراكه بمنطقه المعتاد .

وهذا الأمر ليس له إلا تفسير واحد ..، ذلك ان الإنسان في داخله
قوى أخرى غير مرئية تستطيع أن ترى وتسمع وتدرک بغير الأذن والعين
البشريتين وبغير الإدراك المعتاد ..،

بلْ والاکثر من هذا أن ما يراه في منامه فهو يتذكره بعد يقظته ..،
ويقصه عليك كأنه يراه ..، فلا بد إذا ان تكون هذه القوى الخفيه فيه
مشتركة بين النوم واليقظة ..،

فهى فيه وهو نائم .. وهى فيه وهو يقظان ..، ولكنه لا يدركها ولا
يتعامل معها إلا وهو نائم .. فاقد الحس الحيوانى البشرى ..

وتلك هى النفس أو الروح - ولنتجاوز الآن عن اسمها الحقيقى -
وسوف يأتي بيانها مفصلا فيما بعد بإذن الله ...

هذه النفس أو الروح تستطيع بطاقتها أن تتصل بعوالم أخرى مثل
عالم الرؤيا وتقابل الأموات وتتحدث معهم وتتزاور معهم أو يتزاورون
معها...

وقد قيل إن هذه الطاقة الخفية فى الإنسان إذا سبحت خلال
نومه فى الأرض ولم تتجاوزها، فإنها لا ترى إلا أضغاث أحلام ..، وإذا
سبحت فى السموات، ولكن دون العرش -أقصد عرش الله تعالى- فإنها
ترى الرؤيا برمز وتأويل .. أمّا إذا وصلت إلى العرش فرؤياه حق بلا
تأويل ..

وقيل أيضا إن الرؤيا التى تكون كفلق الصبح إنّما هى من الله ..،

والتي تكون ذات رمز وتأويل فهي من الملائكة المختصين بعالم الرؤيا..
وإذا كانت أضغاث أحلام فهي من النفس أو الشيطان ...

وباختصار فإن عالم الرؤيا أو عالم المثال كما يقولون، هو عالم
غيبى كامل بمقوماته ورموزه وأسراره، ولا يمكن الاطلاع عليه بالحواس
البشرية من سمع وبصر، وكم ترى نائمين متجاورين : أحدهما يرى في
منامه عكس ما يراه الآخر ..، هذا في نعيم وذاك في هم مقيم ..، وهذا
يرى بليل وذاك يرى بنهار .. ولا تتداخل رؤيتاهما فيما بينهما ..،
وسبحان الخالق البارئ المصور عالم الغيب والشهادة .

أما السبب في أنك لا ترى عالم المثال وأنت يقظان، فذلك لأن
بينك وبينه حجابا لا يرفع إلا بنومك ..، ونومك ما هو إلا إلغاء لحواسك
البشرية المادية ..، وهذا الحجاب هو في الحقيقة بين النفس أو الروح
وبين جسدك المادى والبشرى ..

وعلى العموم فهذا عالم ثالث من عوالم الملكوت ...

وهل هناك عوالم أخرى غيبية !!؟

لو أردت أن تحصي مثل هذه العوالم الغيبية لما استطعت .. لا أنت
ولا غيرك.

انظر وافهم رحمك الله ..

لقد رأى رسول الله ﷺ ليلة أسرى به أقواما يعذبون ..، وأقواما
ينعمون ..، فرأى أهل الزنا .. وتاركى الصلاة .. والنمامين والمغتائبين ..
وآكلى الربا .. وعذابهم وشقاؤهم ..، والمجاهدين فى سبيل الله رآهم
يزرعون فى يوم .. ويحصدون فى يوم .. وكلما حصدوا عاد كما
كان ..

أين وكيف تظن أن رسول الله ﷺ قد رأى كل هذا !!؟!!

وهل ظل رسول الله ﷺ يومين ليرى من يزرع في يوم ويحصد
في يوم . أم أن الزمن قد اختلفت مقاييسه في تلك اللحظة؟!
أليست هذه عوالم أخرى من عوالم الغيب .

وأين أنت من أحاديث عذاب القبر ونعيمه، كما وردت عن رسول
الله ﷺ!؟!!، عذاب القبر تسمعه كل البهائم والخلائق ما عدا الإنس
والجن ...، عذاب ونعيم في القبور قبل يوم البعث وقبل دخول الجنة
والنار ..

أليس هذا عالم آخر من عوالم الغيب!؟

وأين تلك الأرواح التي قبضها الله عندما جاء أجلها؟، أين أرواح
الموتى من المسلمين والكافرين؟ فلا هي في الدنيا .. ولا هي في
الآخرة!! صحيح أنها قد أشرفت على الآخرة بتركها الدنيا ...، ولكن يوم
البعث لم يحن بعد .. ولم يحاسب الناس ولم يدخلوا الجنة أو النار ..

فهذا عالم آخر من عوالم الملكوت .. لا هو من الدنيا ولا هو من
الآخرة وفيه نفحة من العذاب .. وفيه نفحة من النعيم ...

ويقول ﷺ إِنَّهُ لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ ... وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ فَيَقَابِلُهُ الدُّعَاءُ صَاعِدًا إِلَى السَّمَاءِ (أى دعاء العبد لربه) فيعتلجان
إلى يوم القيامة (أى يتصارعان) ولا يصل البلاء إلى صاحبه ببركه
دعائه... أو كما قال ﷺ في حديث السيدة عائشة الذى رواه الحاكم
والبزار .

ويا سبحان الله .. هذا ينزل .. وهذا يصعد .. ويتعاركان ..

أليس هذا عالم آخر من عوالم الملكوت!؟!!.

ومهما نعد ونحصى فإنما ذلك على قدر إدراكنا وعقولنا ...، وعلى
قدر ما علمنا، ولكن حقيقة الأمر أنه لا يعلم جنود ربك إلا هو .. وما هي

إلا ذكرى للبشر..

وعلى هذا فمن الممكن أن نقول أن عالم الملكوت هو عالم
الأرواح والنفوس المجردة .. بينما عالم الملك هو عالم الماديات .

* * *

موجز الباب الأول

فإذا أردنا إيجاز ما قدمنا في نقاط صغيرة لقلنا ما يلي :

● عالم الملك والشهادة : هو كل ما تدركه بحواسك البشرية السليمة وإدراكك المعتدل، وهو عالم له مادة ومقدار وتحده المسافة والزمن .

● عالم الغيب والملكوت : هو كل ما لا تدركه بالحواس البشرية وهو عالم الأرواح والنفوس المجردة وهو ليس مادة ولا مقداراً ولا تحده مسافة ولا زمن .

● الأفلاك والجماد والطير والنبات والحيوان لها إحساس وإدراك ومعرفة بالطائع والعاصي ويسبحون الله تعالى.

● عندما ينام الإنسان ويفقد القدرة على استخدام حواسه البشرية تنشط عنده قوة خفية أخرى يطلع بها على بعض عوالم الملكوت .

● الغيب درجات ... منه النسبي ومنه المطلق .. وكلاهما محجوب عنك بحجاب مادي أو معنوي (المسافة والزمن أو صفاتك البشرية النفسية)

● كل ما تراه أو تتخيله أو تراه في منامك هو صور لموجودات ومخلوقات كائنة بكيفية ما في عوالم خاصة بها

● من عوالم الملكوت عالم يسمى بعالم المثال وهو ليس له مادة ولكن له مقدار، تماماً مثل الصورة في المرآة، فالصورة لها مقدار في المرآة ولكن ليس لها مادة .

● خلافتك في الأرض قد تكون في درجة أحسن تقويم وقد تكون

في درجة أسفل سافلين .. والدرجات بينهما لا تعد ولا تحصى .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ .. وَيَقِينَ الْعَارِفِينَ .. وَزِدْنَا بِكَ عِلْمًا
وَإِلَيْكَ اهْتِدَاءً .. سُبْحَانَكَ لَا نَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ
نَفْسِكَ.

وَصَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

+

+

+

”+